ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

مسرحية الرد.. والوعد الصادق

سماهر الخطيب

ردّت الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونفّذت وعيدها تجاه الغطرسة "الإسرائيلية" فكانت ساعات ليل الثالث عشر من نيسان ساعات معدودة من عمر هذا الكيان الغاصب للحق والأرض والمنتهي الصلاحية لمصنّعيه، وبين مشكك بالهجوم وبين ممجّد له صعدت إيران إلى مصافِ القوى الإقليمية باحتراف العارف وذكاء البارع في حياكة القرارات والأفعال

الاستراتيجية التي تبقى بمفاعيلها لعقود كحياكة السجاد الذي تشتهر به حاكت ردّها بحنكة ودهاء فجعلت من المتلقي لردّها وداعميه في حيرة من أمرهم يستجدون الدعم من جهة ويتوعدون بالرد من جهة ثانية ويقللون من حجم الخسائر من جهة ثالثة في محاولة لاحتواء الموقف الذي سجلت فيه إيران هدفاً استراتيجياً لا يمكن لأي قارئ للسياسة والتاريخ أن يوارب عنه بكونه هدف مركّب حققت من خلاله نصراً مركباً ونتائج خماسية الأبعاد (عسكرية – اقتصادية – نفسية – معنوية – أمنية) بدءاً من تدمير للغطرسة الإسرائيلية وإسقاط للهيبة الأمنية الإسرائيلية وتكبيدها خسائر اقتصادية فاقت المليار دولار وضرب عمق أمان مستوطنيها وإثارة الذعر وكسب الحرب النفسية والإعلامية وتحطيم كل معنويات مستطونيها حتى ضاق بهم مطارهم وملاجئهم.

وفي المحصلة فرضت إيران نفسها كدولة عظمى كما هي في حقيقة الأمور ووقائعها، كوننا نتكلم عن وريثة الإمبراطورية الفارسية فالحرب هي حرب حضارات وصراع إمبراطوريات لاستعادة الأمجاد وتصحيح أخطاء التاريخ التي نتج عنها هذا الكيان المحتل في منطقتنا مع صانعيه والذي يعلم جيداً بدنو أجله..

لم تتدخل الولايات المتحدة كونها تعلم جيداً بأن الرد الإيراني مشروع من جهة وأن قواعدها للدفاع عن العدو الصهيوني ستكون بنك أهداف سواء في الكويت أو قطر أو أي مكان تنطلق منه، أضف إلى ذلك الرسالة التي وصلت إلى واشنطن من موسكو وبكين (قبيل الضربة الإيرانية) بأنّ أي تدخل مباشر منها ضدّ طهران فإنّهما ستدخلان مباشرة مع طهران، وهذا ما يؤكد أنّ العالم بات منقسم لقسمين: مشرقي بقيادة الصين وروسيا وكوريا الشمالية وإيران ومحور المقاومة، وغربي بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا والناتو وإسرائيل.

إذاً هي حرب وستتسع ولا نستغرب إن وجدنا الأسلحة المتطورة التي تخشاها إسرائيل بيد حماس وفصائل المقاومة حتى أننا لا نستبعد دخول دمشق بقوة وإخراج ما كان مخفي منذ سنين رغم علمنا المسبق وتأكيدنا أنّ سورية ظهر المقاومة وسندها وأنّ كل الجبهات مجتمعة هي في دمشق..

أو كما قال عنها البعض هي "مسرحية" ولكنها بدأت وفق فصول فكان الفصل الأول جرّ السفينة الإسرائيلية قرب مضيق هرمز إلى المياه الإقليمية الإيرانية فكان عنوان الفصل الأول المضيق خط أحمر، وسبقها فصل تمهيدي طالبت خلاله إيران مجلس الأمن والأمم المتحدة بإدانة العدوان الإسرائيلي على قنصليتها في دمشق واعتباره انتهاك لنظام روما الدبلوماسي ولكن لم تجد من يصغي وسقط الجميع مرة جديدة في امتحان القانون الدولي، فكانت المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة هي السبيل للرد، وكان الفصل الثاني من "المسرحية" بإرسال الطائرات المسيرة التي انهكت الكيان وداعميه لساعات مع العلم أنّ كل طائرة مسيرة أفقدت الكيان حوالي ١٥٠ ألف دولار لاعتراضها فكانت الكلفة الإجمالية تفوق المليار دولار والجدير بالذكر أنّ هذه المسيرات هي من الجيل القديم (أي هناك الأحدث) وكانت طعماً لاستنزاف القبة الحديدية والمقلاع واستنزفتها فعلاً، ناهيك عن حالة الذعر، ليبدأ الفصل الثالث بإطلاق الصواريخ البالستية المتوسطة المدى والتي وصلت أهدافها بدقة وحتى أنها نالت من القاعدة العسكرية التي انطلقت منها الصواريخ واستهدفت القنصلية في دمشق وفشل منظومة باتريوت التي تحمي هذه القاعدة من التصدي لهذه الصواريخ، رغم التعتيم الذي يقول به الكيان ولطالما كان يتحفظ على خسائره في كل المواقع وخصوصاً الحرب الاستخباراتية التي أحد أجزاءها أربيل غير أن رد فعله على أربيل فضح بشكل صارخ الأسرار ليعلن أن أربيل ابتلعت الكثير من كوادره القيادية.

كما رافق الرد الإيراني، تحذير مسبق لأي دولة تقوم باعتراض تلك الصواريخ وربما هذا ما دفع قطر والكويت على سبيل المثال لإغلاق مجالهما الجوي خيفة من أن يكونا فيما بعد بنك أهداف لاحتوائهما قواعد أميركية ناهيك عن الاستنفار الأميركي في كامل المنطقة واختتمت "المسرحية" التي أرادوا أن يسموها بهذا الأسم بفرض قواعد جديدة ومرحلة جديدة يبنى عليها، وانتهت بكلمة من البعثة الدبلوماسية الإيرانية بالقول الرد انتهى وأي تصعيد سيلقى الرد الأقسى، فرسمت بنهاية ردها كما رسمت في بدايته شرق أوسط جديد يملي على الولايات المتحدة وحلفائها شروطه ولا يملى عليه فالقوة هي القول الفصل..

ولو عدنا إلى الهجوم على القنصلية بدمشق فكان رد فعل على استهداف مقر الموساد في أربيل وكان تاريخ ١٥ كانون الثاني ٢٠٢٤ تاريخاً مجيداً حيث استهدف الحرس الثوري الإيراني القاعدة الأمنية للموساد "الإسرائيلي" في أربيل ودمرها كلياً وهي تتبع للوحدة ٨٢٠٠ والتي خصصت لعمليات تجسسية داخل إيران والشرق الأدنى وقد أنجزوا عمليات أمنية عدة، واغتيالات في إيران والعراق سورية ولبنان، فكانت ضربة موجعة وصاعقة للموساد وللوحدة ٨٢٠٠ وأعلن الحرس الثوري مسؤوليته عن العملية التي انطلقت صواريخها من سورية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الوحدة ٨٢٠٠ أو التي تعرف باسم وحدة SIGINT ذات أهمية لدى "إسرائيل" باعتبارها وحدة الإستخبارات المسؤولة عن التجسس الإلكتروني عن طريق جمع الإشارة وفك الشيفرة، كما أنها المسؤولة عن قيادة الحرب الإلكترونية في جيش الاحتلال ولديها غرفة عمليات مع وحدة تنفيذ المهام في الموساد.. وتشير التسريبات إلى أنّ العدو الاسرائيلي قد أبلغ روسيا بأن استهداف القنصلية في دمشق كان رداً على استهداف أربيل.

كما تقول التسريبات أن الأنظمة في الخليج العربي خاصة الإمارات العربية بصدد إعادة التفكير بملف التطبيع مع "إسرائيل" إذا لم تشتعل الحرب حكماً وتنهي إسرائيل وتنهي مفاعيل ملفاتها التطبيعية في المنطقة) بعد تعرض الإمارات لضغوطات من عدة دول أجنبية مالكة لرؤوس أموال داخل البنوك الإماراتية وشركات نفطية وثروات باطنية في أفريقيا وشركات النقل البحري وغيرها، إضافة إلى تغلغل الموساد في داخلها ولم يعد أحد يريد أن تكون بلاده مرتعاً للموساد وهدفاً لتصفية الحسابات، ناهيك عن الضغوط المتمثلة بالرأي العام بعد المجازر المرتكبة في غزة وبعد فشل هذا الكيان على الأصعدة كافة أمام قوة فعل المقاومة في فلسطين وفي جبهات الإسناد والتي عرّت "إسرائيل" وأكدت بعدوانها على غزة بأنها ليس فقط لا يمكنها أن تندمج مع دول المنطقة بل لا يمكن اندماجها مع المجتمع الدولي باعتبارها مجموعة عصابات إرهابية متطرفة لا تخضع للقوانين الدولية ولا حتى للأعراف الدولية..

أما نتنياهو الذي يسعى لرد مغامر فإنّ رده حكماً سيشعل المنطقة برمتها ليكون كيانه ساحة الحرب في حين أنّ واشنطن لا تقوى على مثل هذه الحرب فهي منهكة تماماً من تايوان وأوكرانيا ومن الداخل فباتت قوتها مع ذراعها الناتوي من الماضي، وبات لزاماً على كل من حلفائها أن (يقبع شوكه بيده) وأي جولة في مجلس الأمن ضدّ أي قرار يدين إيران ستجد الفيتو المزدوج، فنحن هنا نتكلم عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية والتي تمتلك باع طويل في الحنكة السياسية وطول البال الذي تحيك به السجاد الأول عالمياً وهي حاكت ردّها اليوم بهدوء متأصّل في مورثاتها.

وربما سيكون رد نتنياهو بتفريغ غضبه وفشله في رفح وسيكون المسمار الأخير في نعش النظام الإسرائيلي إذا ما قام بذلك، فخرق الجدار داخل فلسطين المحتلة في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وتوقف أجهزة الاستشعار والمراقبة بتلك اللحظات لم يكن محض صدفة كما لم يكن محض صدفة الضربة الإيرانية بالأمس واختراق أمن إسرائيل في العمق، فلقد اتخذ القرار بنهاية إسرائيل وإعادة هيكلتها وهي اليوم تعد أيامها الأخيرة، فضربة القنصلية أتت بالفرج على كامل المحور ومنحت إيران الحجة الدامغة للدخول إلى الحرب بشكل نظامي وفق نظام روما ولن تقع أميركا في فخ نتنياهو مجدداً كما وقعت في اليمن فرغم أنّنها القائد الفعلي للحرب لكنها باتت تريد سلامة رأسها حالياً في هذه المواجهة.

قلناها سابقاً ونعيد "انتقل ميزان القوى من الغرب باتجاه الشرق" منتظرين فقط توزيع المكاسب والصلاحيات.. نعم إنها "مسرحية" نصر على مسرح الحياة المفعمة بالعز..

المأزق الصهيوني

ليلى عماشا

نقل مقرّبون من رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو بحسب قناة «كان» العبرية، قوله «سنردّ على إيران، لكن على الإيرانيين أن يعيشوا التوتر كما عشناه نحن». بجملة واحدة، اختصر بدون أن يدري حال الكيان المترنّح، وعكس الزعزعة التي تعصف بوجوده منذ السابع من تشرين/اوكتوبر، بعد أن حاول إخفاءها بالإبادة والتوحّش والجرائم الهمجية، لتُفضح في ليل ١٤ نيسان/أبريل، وتُظهره على حقيقته: متوتر، مرعوب، متورّط حيث لا يقوى على التقدّم ولا تسمح له عنجهيّته بالتراجع.

وبجملة واحدة، عبّر عن مأزق لم يتصوّر أن يحلّ على كيانه «المتفوّق» وعلى «جيشه الذي لا يُهزم» بفعل تسلّحه بأكثر المعدّات والأسلحة تطوّرًا في العالم. قال نتنياهو بين السطور، أن العنجهية والغرور دفعا بكيانه إلى تجاوز الخطوط الحمراء مع إيران، وأدّته منذ تلك اللحظة، واقعٌ في حال من التوتّر بفعل انتظار الردّ الإيراني وتوقّعه. ولأنّ «تفوّقه» أثبت عدم حيلته في الميدان وفي المواجهة، وعنجهيّته لم تنزل تدعوه إلى المكابرة، وإلى التلويح بارتكاب الحماقة تلو الأخرى، كالهارب إلى الأمام. يريد أن يتوتّر الإيرانيين وهم ينتظرون الردّ المضاد الذي يتوعّد به. تارة يؤكّد أنّه سيكون ردًّا حكيمًا،

وطورًا يسوّق لأخبار عن قرب ميعاد هذه الخطوة. بكلام آخر، يحاول خوض اللعبة التي لا يجيدها كمحتلّ، ويحاول ادّعاء حكمة لا يمتلكها كمهجّي قاتل-كما كلّ من يحمل جنسية هذا الكيان المسخ- وكذلك يحاول حفظ ماء وجه أُريق أصلًا وداست عليه أرجل الأحرار في محور المقاومة.

بالدرجة الأولى، الحديث عن تعمّد وضع إيران في موضع المتوتّر هو حديث ينمّ عن جهل بطبيعة العقل الإيراني وبالطريقة التي تتعاطى بها الجمهورية مع أصل موضوع القتال ضدّ الباطل.. هو لا يعرف شيئًا ربّما، أو يتجاهل حقيقة أنّه يتعامل مع دولة ثقافتها: «أبالموتِ تهدّدني يا بن الطلقاء؟!». يريد إخافة الإيرانيين الذين كما يتمتعون بحكمة الصبر الإستراتيجي، يمتلكون المقدّرات الكافية التي يعرف العدو وكلّ العالم أنّها تكفي لكي لا تخشى حماقات التصعين. وبالتالي، بجهله هذا، أو تجاهله الذي يتوخّى من خلاله ارتداء قناع المسيطر والمتحكّم، هو يقع في مأزق إلزام نفسه بردٍّ يعجز عنه من جهة، ولا يستطيع أن يُلزم به أحدًا حتى من الدّول التي تكفّلت بحمايته في ليلة «الوعد الصادق".

اعلاميًا، لم نرَ الذين اعتبروا تأخّر إيران بالردّ على استهداف قنصليّتها ضعفًا، يعلّقون على التردّد الصهيوني في ردّ مضاد. بعد أيّام قضوها وهم يسخرون من احتمال أن توجّه ضربة لإسرائيلهم التي لم تزل في أذهانهم ماردًا جبّارًا لا يُهزم. وقد بلغوا حضيض الخيبة والانهزامية حين غرقوا في النكران حين تمّت الضربة: مسرحية! لم يصدّقوا، بل وجالوا في الأرض يرجون الناس ألّا تصدّق! لم نرهم حتى يعاتبون «كبيرهم» وهو محتار بين إخفاء آثار الصفعة التي يقول أنّها لم تؤلمه، وبين التوعّد بردّ يشفي غليله ولكنّ دونه الشعور بأن هذا الردّ قد يعود عليه بردٍّ أقوى بعشرات الأضعاف عمّا رآه في ليل ١٤ نيسان.. لم يستطع هؤلاء أن ينبسوا ببنت شفة حول كلّ هذا المشهد، بل غرقوا في نكرانه أكثر.. ليُفضحوا مرّة بعد ليس فقط بجرم الخيانة، إذّما بمرض هو الأخبث: الاعتقاد بأن «اسرائيل» وخلفها «الولايات المتحدة الأميركية» اله ليس يسقط!

الضربة الإيرانية للكيان الصهيوني..واقع وتداعيات

د.جمال زهران

لم يكن لديّ أية شكوك على الإطلاق، في أنّ ضربة عسكرية إيرانية ستوجّه إلى الكيان الصهيوني، ومباشرة من الأراضي الإيرانية إلى قلب هذا الكيان المتعجرف والمغرور، والذي يستخدم القوة العسكرية، خارج الشرعية والقانون الدولي، وبدون سقف أو حدود.

ورأيي ثابت ولأسباب عديدة في الكثير من تصريحاتي وكتاباتي عقب الضربة الصهيونية لمقرّ القنصلية الإيرانية اللصيقة بالسفارة الإيرانية في دمشق، والتي راح ضحيتها ٧ من القيادات الكبرى في إيران من الحرس الثوري، أثناء اجتماعهم داخل القنصلية باعتبارها المكان الآمن، وراح معهم ٧ من السوريين العاملين بالسفارة.

المهمّ الآن، فقد وقعت الضربة العسكرية الإيرانية التي أطلق عليها (الوعد الصادق) مساء يوم السبت ١٣-أبريل (نيسان) ٢٠٢٤م، والموافق ليلة الخامس من شوال، الذي يوافق موقعة الخندق (في صدر الإسلام). وأعلن عنها رسمياً من تلفزيون إيران بالطائرات المُسيّرة، وصواريخ كروز، وصواريخ باليستية. وتداول عدد هذه الأنواع الثلاثة، ولعلّ المعلومات الأقرب للصحة، في ظلّ عدم التصريح الإيراني بذلك، هو ما أفصحت عنه صحيفة (نيويورك تايمز) الأميركية، حيث نشرت أنّ إيران أطلقت عدد (١٨٥ طائرة مُسيّرة + ٣٦ صاروخ كروز + ١١٠ صواريخ أرض/ أرض (باليستية) بإجمالي (٣٣١) وسيلة هجومية إيرانية على الكيان الصهيوني، ويبدو أنّ المصدر المنقول عنه، هو المتحدث باسم الجيش الصهيوني (افيخاي ادرعي).

المؤكد إذن أنّ الضربة العسكرية الإيرانية ضد الكيان الصهيوني، والتي استمرت نحو (٥-٦) ساعات، وسط رعب الحكومة الصهيونية التي اختبأت في الخنادق، وصفارات الإنذار تحذر المستوطنين في الكيان، قد حققت أهدافها كاملة (عسكرية ومعنوياً). وقد ثبت أنّ هناك عشرة أهداف قد أصيبت بالفعل، أهمها حسب التصريح من رئيس الأركان الإيراني، الأول هو: مركز الاستخبارات الصهيوني في جبل الشيخ بهضبة الجولان المحتلة، والذي كان مركز توجيه الضربة الصهيونية للقنصلية الإيرانية في دمشق، والثاني هو: قاعدة "نيفاطيم" العسكرية، وهي القاعدة المهمة والاستراتيجية والتي تقع في منطقة صحراء النقب بالقرب من مدينة "بئر السبع"، ويبلغ طول المدرّج فيها (٣٤٠٠) متر، والتي انطلقت منها الطائرات التي ضربت القنصلية الإيرانية وهي من نوع (اف/ ٣٥)، حيث أعلن رئيس الأركان الإيراني، أنهما قد تمّ تدميرهما بالكامل، وهو ما يتوازى مع الضربة الصهيونية للقنصلية الإيرانية. أما بقية الأهداف، فتتركز في سيل الصواريخ التي وجهت إلى مطار رامون الجوي الذي خرج من الخدمة ولا يزال مغلقاً، ثم قاعدة أوريم، وقاعدة حتسريم، ثم احتراق مناطق عديدة في تل أبيب، وأيضاً تمّ ضرب ميناء أم الرشراش (إيلات)، فضلاً عن مواقع أخرى لم يتمّ الكشف النهائي عنها.

أما من ناحية الخسائر الاقتصادية التي أصابت الكيان الصهيوني، وفقاً لما أعلن على لسان مسؤولين صهاينة ووسائل إعلام صهيونية، فقد بلغت في الليلة الواحدة

أكثر من (١,٣) مليار دولار، وهي كلفة الدفاع الصهيوني ضدّ الضربة الإيرانية. وهو ما أكده المستشار الاقتصادي لرئيس الأركان الصهيوني (العميد/ رام عمينخ)، حيث أشار إلى أنّ تكلفة صدّ الهجوم الصاروخي الإيراني لليلة واحدة بلغت بين (٤-٥) مليار شيكل، مقابل التكلفة المنخفضة نسبياً التي تدفعها إيران في الضربة التي وجهتها لهذا الكيان الغاصب والمحتلّ. ولذلك يقترح هذا المسؤول الصهيوني، زيادة ميزانية وزارة الدفاع الصهيونية!

ومن الصعب الوقوف بدقة على ما حدث، من حيث المعلومات، والآثار، وسط تكتم متبادل بين الكيان الصهيوني وإيران، في إطار استراتيجيات مثل هذه النوعية من الضربات الاستراتيجية، التي ستكون لها تداعيات ضخمة، بلا شك. ولذلك يبقى السؤال بعد الحديث عن ضربة عسكرية إيرانية ضد الكيان الصهيوني وفي قلب أرض فلسطين المحتلة، بين الاحتمال بالوقوع من عدمه، حيث أصبحت واقعاً فعلياً.. والآن وجب الحديث عن التداعيات الأولية من الآن، فصاعداً، ويمكن التركيز على عدة نقاط هي:

١ ـ أن إيران أصبحت محل ثقة الداعمين للقضية الفلسطينية، حيث لم تكتفِ بالمواجهة عن بعد، والغير مباشرة، عبر جبهات الإسناد لغزة من دول محور المقاومة، بل أصبحت دولة مواجهة فعلية، بالمبادرة إلى الردّ المباشر، بعد العدوان الصهيوني المباشر على أرضها في دمشق. وبالتالي ما كان يُقال عن أنه من الممكن أن تبلع إيران هذه الضربة، كان مجرد لغو حديث، لأنّ الأمر دخل دائرة الهيبة والمكانة الإيرانية، التي يمكن تعرّضها للاهتزاز والتشويش والتشكيك، إذا ما لم تقع هذه الضربة، التي عززت المكانة الإيرانية في الإقليم كله.

٢ ـ المبادرة بضرب الكيان الصهيوني، عسكرياً من خارج حدوده الجغرافية، التي أصبحت آمنة باتفاقات التطبيع ما عدا الجبهتين اللبنانية والسورية، وهي المبادرة الثانية تقوم بها جمهورية إيران الإسلامية، بعد أن سبق توجيه ضربة عسكرية من العراق عام ١٩٩١م، والتي أطلقت (٣٩) صاروخاً من نوع سكود، وكانت من خارج حدود الكيان الصهيوني الجغرافية المباشرة، وأحدثت خسائر بشرية ومادية كبيرة، أنكرها الكيان آنذاك، والتي كشف عنها مؤخراً، بأنّ الخسائر البشرية تجاوزت (٣٥٠) قتيلاً، بخلاف المصابين! ولذلك لم يعد الكيان الصهيوني، في أمان أو استقرار كما كان يُشاع، كما سقطت ادّعاءات أنّ هذا الكيان هو صاحب اليد الطولى، وجيشه هو الأقوى في الإقليم، والذي لا يُقهر حسب الأساطير الشائعة للعدو! وفي ضوء ذلك فقد سقطت نظرية الحدود الآمنة للكيان الصهيوني.

٣ ـ سقوط حواجز الخوف والرعب لدى الدول المطبعة، والتي عليها أن تحذو حذو المبادرة بالتخلص من اتفاقيات التطبيع والانسجام مع شعوبها، والتوحد مع القضية الفلسطينية ودعمها، حتى تحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وزوال الكيان الصهيوني. فقد استهدف هذا الكيان من ممارساته العنيفة والتي توصف بأنها أعمال إرهابية وبلطجة، إلقاء الرعب في قلب النظم المطبعة فعلاً، أو النظم المطلوب استكمال ملف تطبيعها، تفادياً لمصير الدول التي يمارس الكيان الصهيوني إرهابه ضدها. فقد سقطت كلّ حواجز الخوف والرعب، وسقطت هيبة هذا الكيان المزعوم، ومكانته وقوته المزعومة أيضاً.

٤ ـ محاذاة "طوفان الأقصى"، بهذا العمل العسكري المتميّز، مع "طوفان أحرار"، يضمّ دول المحور، بتبلور مكانة محور المقاومة الذي أصبح واقعاً فعلياً بقيادة إيران الداعمة للقضية الفلسطينية منذ قيام ثورتها في فبراير ١٩٧٩، ولآن، وبلا انقطاع. وللحديث بقية في رصد ما بعد الضربة العسكرية الإيرانية من تداعيات.